محيي الدين بن عربي الظاهري الباطني ودوره في ربط جسور التواصل بين المغرب والمشرق خلال العصر الوسيط.

Muhyiddin ibn arabi dahiri and his role of connecting bridges of communications between the oriental and western in the middie agas.

حسن بن تيشة[1]
طالب دكتوراه مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية
جامعة الوادي
hacenbentecha@gmail.com
د.البشير غانية
جامعة الوادي
Ghania—bachir80@yahoo.fr

تاريخ الوصول 2021/01/01 القبول 2021/11/03 النشر على الخط 2022/06/05
Received 01/01/2021 Accepted 03/11/2021 Published online 05/06/2022

ملخص:

باتساع الرقعة الجغرافية للعالم الإسلامي في العصور الوسطى، ظهرت الرحلة العلمية بين المشرق والمغرب المتمثلة في حركة العلماء وطلبة العلم الذين ساهموا بدورهم في تنشيط وربط جسور التواصل بين المراكز العلمية والمؤسسات التعليمية الموجودة في البلاد الإسلامية، ومن بين مسارات الرحلة العلمية التي تحدثت عليها كتب الرحالة، وكتب التراجم والطبقات، رحلة علماء الأندلس إلى المشرق الإسلامي فكان تأثيرهم عميق على الحياة العلمية هناك ودورهم كبير في المساهمة في بناء السرح العلمي للحضارة الإسلامية، ومن هؤلاء العلماء محيي الدين بن عربي الحاتمي الطائي الأندلسي 560 638هـ / 1164 1240م ،الذي زار البيت الحرام ومصر وبغداد ودمشق، وألف العديد من الكتب والمجلدات بقيت إلى اليوم تعبر على ذلك التواصل والترابط.

الكلمات المفتاحية: محيي الدين بن عربي– الظاهرية– التواصل– المغرب – المشرق.

Abstract

As the geographical area of the Muslim world expanded in the Middle Ages, the scientific journey between the Oriental and the western which represented by the movement of the scientists and students science who participated in Activating and connecting bridges of communication between scientific centers and scientific Institutions which located in islamic countries, one of the scientific journey tracks which was found in traveller, translation and class books A journey of The Andalusian scholars to the Islamic East had a profound impact on scientific life there and their great role in building a scientific edifice for the Islamic civilization,from these scientists Mohie Eldeen Ibnʿ Arabī al-Ḥātimī aṭ-Ṭāʾī al-Andalusi 1240-1164A.D/560-638H who visted the Masjid al-Haram,Egypt,Baghdad and Damascus and wrote alot of books which express about this daring and bonding.

Keywords: Mohie Eldeen Ibn Arabi - alzaahiria – Communicate - western – Oriental.

[1] المؤلف المراسل: **حسن بن تيشة** البريد الإلكتروني **hacenbentecha@gmail.com**

1. مقدمة:

ازدهرت العلاقات بين المغرب والمشرق في العصور الوسطى بشكل كبير، وذلك رجع إلى وجود حواضر علمية مشرقية كبيرة زاخرة بالعلم والعلماء، علاوة على وجود مركز الخلافة، إضافة إلى موسم الحج الذي يمثل ملتقى إسلامي كبير. تعد العوامل المذكورة سالفا عاملا مشتركا في اغلب هجرات الطلبة والعلماء.

في هذا المقال يمكننا التعرف على احد العلماء المغاربة الذي ذاع صيته في بلاد المشرق وكانت له مساهمة فعالة في الحياة العلمية. وهو محيي الدين بن عربي الحاتمي الطائي الأندلسي 560 638هـ / 1164 1240م الذي له دور كبير في ربط جسور التواصل بين المغرب والمشرق.

ومنه يمكن طرح الأسئلة التالية: من هو محيي الدين ابن عربي؟ وكيف كان تكوينه الأصلي؟ ومن هم الشيوخ الذين تتلمذ على يديهم؟ وما هو مسار رحلته؟. وكيف ساهم في اثراء الحياة العلمية في الحواضر المشرقية التي حل بها؟ وما هي أهم المؤلفات التي بقيت شاهدة على عبقريته الدينية والعلمية؟

وفي هذا المقال سوف نجيب على هذه الإشكاليات المطروحة.

وقد اتبعنا المنهج التاريخي في انجاز هذا المقال من خلال البحث في المصادر والمراجع التي تحدثت على هذه الشخصية محاولين إبراز دوره في ربط جسور التواصل بين جهتي العالم الإسلامي مغربه ومشرقه.

2.ابن عربي المولد والنشأة.

وهو محمد بن علي بن محمد بن عربي الحاتمي الطائي الأندلسي الشهير بمحي الدين بن عربي من ولد عبد الله بن حاتم أخي الصحابي الجليل عدي بن حاتم، ويكنى أبا عبد الله وأبا بكر، ويعرف بالحاتمي، أو الطائي كما يلقب، وإمام المتقين وغيرها من الأسماء الشرفية لمقامه وعلمه[1]. كما جمع عدة علوم فهو: فقيه، متكلم، حكيم، أديب، شاعر صوفي[2].

ولد الشيخ محي الدين بن عربي ليلة الاثنين في السابع عشر من شهر رمضان سنة 560هـ 1160م، في مدينة مرسية[3] شرقي الأندلس، ثم انتقل إلى اشبيلية[4] 567هـ أقام بها حوالي عشرين عاما ذهب خلالها إلى المغرب وتونس عدة مرات[5].

---

1 محمد علي حاج يوسف، شمس المغرب سيرة الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي ومذهبه، للدراسات والترجمة والنشر، حلب سورية، ط1 2006، ص13.

2 محمد احمد درنيقة، معجم المؤلفين الصوفيون، مؤسسة الحديث للكتاب، طرابلس، لبنان،2006،ط1،ص390.

3 تقع جنوب شرق الجزيرة الأيبيرية الأندلس سابقا مملكة اسبانيا حاليا على ضفاف نهر شقورة تطل على البحر الأبيض المتوسط وهي عاصمة منطقة مرسية أسسها عبد الرحمان الداخل عام 825م.ينظر ابو عبد الله شهاب بن عبد الله ياقوت الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، تح فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990.

4 تقع على ضفاف نهر الوادي الكبير في جنوب اسبانيا تعد عاصمة منطقة اندلوسيا كان لها شهرة كبيرة في العصور الوسطى وتسمى أيضا حمص لنزول جند الشام بها، من أشهر حكامها المعتمد بن عباد زمن ملوك الطوائف، كما تعد منارة خيرا لدا من ابرز ما يميزها بنيت في عهد الخليفة أبو يوسف يعقوب المنصور الموحدي. ينظر ياقوت الحموي، معجم البلدان.

5محمد علي حاج يوسف، المرجع السابق، ص 14.

كان أبو محمد والد محي الدين من أئمة الفقه، والحديث، ومن أعلام الزهد والتقوى والتصوف، وكان جده احد قضاة الأندلس وعلمائها.[1] تبوأ والده منصبا رفيع عند بن مردنيش سلطان مرسية، وعندما مات هذا السلطان اخذ الموحدون إمارته، عندها رحل محيي الدين مع أبيه إلى اشبيلية عاصمة الأندلس، وكان عمره لا يتجاوز ثماني سنوات.[2]

3. تعليمه.

تلقى ابن العربي التربية والتعليم على يد مشاهير شيوخ الأندلس، وكان يتمتع بمكانة كبيرة في قصر السلطان مع أبيه، غير أنه نحى منحى الزهد والتقشف، ولم يبلغ محي الدين عقده الثاني حتى فتح الله عليه فتحا علميا كبيرا جعل من العلماء يقصدونه من كافة أنحاء المغرب[3].

وفي سن مبكرة أرسله أبوه إلى عالم زمانه أبي بكر بن خلف عميد الفقهاء، فقرأ عليه القرآن الكريم بسبعة أوجه في كتاب "الكافي" وما إن تم سن العاشرة حتى برز في هذا العلم ملهما في معانيه وإشارته[4].

كما كان محيي الدين بن عربي يتردد على إحدى المدارس بالأندلس، التي تعلم سرا بها مذهب الأمبيذوقلية المحدثة المفعمة بالرموز بالتأويلات الموروثة عن الفيثاغورية والأورفيوسية[5]، والفطرية الهندية، وكانت هذه المدرسة هي الوحيدة التي تدرس لتلاميذها المبادئ الخفية والتعاليم الرمزية منذ عهد بن مسرة المتوفى بقرطبة سنة 319هـ والذي لم يعرف المستشرقون مؤلفاته إلا عن طريق محي الدين بن عربي[6].

ثم وجهه أبوه إلى طائفة من أهل الحديث والفقه، وكان مما سمع منهم العالم بن زرقون والحافظ بن الجد، وأبي وليد الحضرمي، والشيخ أبي الحسن بن نصر[7].

4. شيوخه المغاربة.

سمع محيي الدين من موسى بن عمران الميرتلي بمنزله بمسجد الرضي باشبيلية وهو يقول: للخطيب أبا القاسم بن عفير، وقد أنكر أبا القاسم ما يذكر أهل هذه الطريقة فقال له يا أبا القاسم لا تفعل، فإنك إن فعلت جمعت بين حرمانين لا ترى ذلك في نفوسنا ولا نؤمن به وما ثم دليل يرده، ولا قادح يقدح فيه شرعا وعقلا.[8] وقال الشيخ: لقيت واحد منهم باشبيلية وهو من اكبر ما لقيته يقال له موسى بن عمران سيد وقته.

---

6 محي الدين محمد بن علي بن محمد بن عربي الحاتمي، الفتوحات المكية، فهرسه احمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،دط، دس،ج1، ص3.

[2] ابن عربي، الفتوحات المكية، المصدر السابق، ص3

[3] محمد علي حاج يوسف، المرجع السابق، ص 17.

[4] ابن عربي، الفتوحات المكية، المصدر السابق، ص3.

[5] وهم من اقطاب ال عصور البائدة من حكماء فارس والاغريق. ينظر: عبد الباقي السيد عبد الهادي، تاريخ اهل الظاهر،ص702.

[6] محي الدين محمد بن علي بن محمد بن عربي الحاتمي، رسائل بن عربي، تح سعيد عبد الفتاح، ، الانتشار العربي، بيروت،ط1، 2001، ج1، ص4.

[7] ابن عربي، الفتوحات المكية، المصدر السابق، ص 3.

[8] آسين بلاثيوس، ابن عربي حياته ومذهبه، تر: عبد الرحمان بدوي، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة،دط، دس، ص14.

وتعلم ابن عربي الاتصال بأرواح الموتى من شيخ شهير بالكرامات؟ وهو أبي الحجاج يوسف الشبربلي من شبربل[1] شرق الأندلس وكان من كرماته المشي على الماء.[2]

ومن شيوخه أبو يعقوب يوسف بن خلف الكومي يقول: بيننا وبين الحق المطلوب عقبة كؤود ونحن في أسفل العقبة من جهة الطبيعة، فلا نزال نصعد في تلك العقبة حتى نصل إلى أعلاها، فإذا استشرفنا على ما ورائها من هناك لم نرجع، فان وراءها ما لا يمكن الرجوع عنه.

وفي حساب النفس تلقى ابن عربي هذا العلم من الشيخين: أبو عبد الله بن مجاهد و أبو عبد الله بن قيسوم باشبيلية، وكانت طريقتهم مقصورة على الأفعال والأقوال فأضاف إليها الشيخ المحاسبة على الخواطر.

وفي قصة هذين الشيخين أنهما كانا يحاسبان نفسيهما على ما يتكلمونه، وما يفعلونه ويقيدونه في دفتر فإذا كان بعد صلاة العشاء ودخلوا ببيوتهم، حاسبوا أنفسهم واحضروا دفترهم ونظروا فيما صدر منهم في يومهم من قول وعمل وقابلوا كل عمل بما يستحقه إن استحق استغفارا استغفروا، وان استحق توبة تابوا، وان استحق شكرا شكروا[3].

لقاؤه مع إبن رشد: لما دخل يوما من الأيام قرطبة على قاضيها أبو الوليد بن رشد[4]، وكان راغبا في لقائه بسبب صيته الذي ذاع بين الناس في الأندلس وخارجها، وكان بن رشد قد أعجب به أيما إعجاب، فبعثه والده إليه، وما إن دخل عليه حتى وقف له إجلالا وإكبارا ومحبة منه وسأله قائلا: كيف وجدتم الأمر في الكشف والفيض الإلهي[5]؟ هل هو ما أعطاه النظر؟ قلت له: نعم و لا لا وبين نعم و لا تطير الأرواح، فاصفر لونه وقعد يحوقل وعرف ما أشرت به إليه[6].

كان ابن رشد في فلسفته يهدف إلى التوفيق بين الفلسفة والدين، و في مقابلته مع محي الدين أراد أن يصل إلى أن القمة التي تصل أليها الفلسفة هي بعينها غاية الدين وهدفه، وأن العقل يلتقي بالروح في نهاية المطاف[7].

لم يكن هذا اللقاء فاصلا بين الرجلين، بل سعى ابن رشد في برمجة لقاء آخر مع محيي الدين وطلب من أبيه أن يجتمع به مرة أخرى، ليعرض ما عنده عليه ليتحقق هل يخالف أم يوافق ما هو عليه بن رشد خاصة وأنه كان من أهل الفكر والمنطق رغم الاختلاف الحاصل بينهما، إلا أن الاحترام بينهم توطد وترقى.

لم ينكر ابن رشد على محيي الدين علومه الكشفية، ولا طريقته في المعرفة والتلقي، بل حمد الله أن وجد شخص مثله في زمانه دخل الخلوة جاهلا وخرج منها عالما وأراد أن يجتمع به مرة ثالثة، لكن شاءت الأقدار غير ذلك إلى غاية وفاة ابن رشد 595هـ[1].

---

[1] شبربل بضم الشين وسكون الراء قرية بشرق اشبيلية.

[2] آسين بلاثيوس، المرجع السابق، ص.15

[3] آسين بلاثيوس، المرجع السابق، ص ص15- 16.

[4] هو أبو وليد محمد بن احمد بن رشد 520-595هـ /1126-1198م اشتهر بابن رشد الحفيد ولد في قرطبة وتوفي بمراكش، وهو فيلسوف وطبيب وفقيه وقاضي وفلكي وفيزيائي دافع عن الفلسفة وصحح ما وقع فيه غيره من الفلاسفة من أخطاء تعرض أخر حياته إلى محنة اتهم فيها بالكفر والإلحاد.

[5] الكشف او المكاشفة وهي علم الباطن وهو نور يظهر بالقلب عند تطهيره وتزكيته من الصفاة المذمومة وينكشف بذلك النور امور كثيرة تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله سبحانه وصفاته الباقيات وبأفعاله وحكمته في خلق الدنيا والاخرة. للمزيد ينظر: مصطفى عبد الرزاق ماسيو، التصوف،تر عبد الحميد يونس واخرون،ط1،مكتبة المدرسة دار الكتاب،لبنان،1984ص76.

[6] طه عبد الباقي سرور، محي الدين بن عربي،مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، مصر، دط،2012 ،ص19.

[7] نفسه، ص20.

5. التصوف عند محيي الدين بن عربي.

للشيخ محيي الدين مكانة عليا في التصوف، فلا يمكن لمريد التخلي عليه ولا يهتدي السائر إلا به، ويعرف من مريده موارد حركاته، ومصادرها، وعلوم الخواطر مذمومها ومحمودها، ويعرف الأنفاس والنظرة[2]، فقد كتب الشيخ في هذا العلم المئات من الرسائل والكتب زاد عددها عن خمسمائة كتاب على حد قول عبد الرحمان جامي صاحب كتاب "نفات الأنس" واهم هذه المؤلفات الفتوحات المكية[3].

فهو يعتبر مقعد علوم الروح والقلب في الإسلام ومنظرها وهو الشارح الأكبر للتصوف الإسلامي[4].

كما يعرف الشيخ الفرق بين الكشف الحقيقي والكشف الخيالي، ويعلم التجلي الإلهي[5]، ويعلم التربية، وانتقال المريدين من الطفولة إلى الشباب إلى الكهولة، ويعرف متى يترك التحكم في طبيعة المريد ويحكم في عقله ومتى يصدق المريد خواطره، ويعلم ما للنفس من أحكام وما للشيطان من الأحكام، ويعلم الحجب التي تعصم الإنسان من إلقاء الشيطان في قلبه، ويعلم ما تكن به نفس المريد مما لا يشعر به المريد ويفرق للمريد إذا فتح عليه في باطنه بين الفتح الروحاني وبين الفتح الإلهي، ويعلم بالشم أهل الطريق الذين يصلحون له من الذين لا يصلحون، ويعلم التحلية التي يحلى بها نفوس المريدين الذين هم عرائس الحق فهم أدباء الله العالمون بآداب الحضرة وما تستحقه من الحرمة والجامع لمقامهم[6].

يعد الشيخ مثالا للمريد السالك في حال تربيته وكشفه إلى أن ينتهي الأهلية للشيخوخة وجميع ما يحتاج إليه المريد إذا مرض خاطره وقلبه بشبهة وقعت له لا يعرف صحتها من سقمها وحرمة الحق في حرمة الشيخ وعقوقه في عقوقه[7].

ولهذا خرج محيي الدين من خلوته، فقد نهل من العلم المصفى، ما أذهل به ابن رشد وما حير به أئمة عصره، ولكن التربية غير العلم والطبيب غير المعلم خرج ينشد الدليل والقائد حامل المصباح[8]. فهو يعتبر مقعد علوم الروح والقلب في الإسلام ومنظرها وهو الشارح الأكبر للتصوف الإسلامي.

ومن بين مظاهر استغراقه في التصوف، وقوة بصيرته ما ذكرته المصادر عنه حينما كان بمكة، قد تنبأ بوقوع مصائب عظيمة، لما ان شاهد النجوم تتساقط تساقطا عجيبا ووقعت هذه المصائب في سنة 600هـ / 1203م ،فقد هبت على اليمن ريح عاتية تحمل غبارا مثل الزنك غطى الأرض حتى الركبة، لم يعد للناس المشي في النهار إلا بضوء المشاعل كما انتشر الطاعون الفتاك بين اعل مكة.[9]

---

[1] طه عبد الباقي سرور، المرجع السابق، ص21.

[2] نفسه، ص25.

[3] محمد علي حاج يوسف، المرجع السابق، ص14.

[4] عثمان يحي، مؤلفات بن عربي تاريخها وتصنيفها، تر: احمد محمد الطيب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، دط ،2001، ص15.

[5] مصطلح الفيض الإلهي يقولون ان الاتحاد هو تأليف معاني بتأثير العقل الفعال والعقل الفعال هو الفيض الإلهي وهو النور المحمدي على النفس المنفعلة. للمزيد ينظر: مصطفى عبد الرزاق ماسيو، التصوف، تر عبد الحميد يونس واخرون،ط1،مكتبة المدرسة دار الكتاب،لبنان،1984،ص35.

[6] طه عبد الباقي سرور، المرجع السابق، ص25.

[7] نفسه، ص25.

[8] طه عبد الباقي سرور، المرجع السابق، ص25.

[9] آسين بلاثيوس، المرجع السابق، ص88.

وفي هذا الصدد يقول بن عربي" أن الشياطين وهم كفار الجن لهم عروج إلى السماء الدنيا يسترقون السمع ـ أي ما تقوله الملائكة في السماء وتتحدث به مما أوحى الله به فيها، فإذا سلك الشيطان أرسل الله عليه شهابا رصدا ثاقبا، ولهذا يعطى ذلك الضوء العظيم الذي تراه، ويبقى هذا الضوء في أثره طريقا، ورأيت مرة طريقه وقد بقى ضوؤه ساعة أو أزيد من ساعة وأنا بالطواف، رأيته أنا وجماعة الطائفين بالكعبة، وتعجب الناس من ذلك، وما رأينا قط ليلة أكثر منها ذوات أذناب الليل كله، إلى أن أصبح، حتى كانت تلك الكواكب وتداخل بعضها على بعض كما يتداخل شرر النار تحول بين أبصارنا وبين رؤية الكواكب فقلنا: ما هذا إلا لأمر عظيم، وبعد قليل وصل إلينا أن اليمن ظهر فيه حادث في ذلك الوقت الذي رينا فيه هذا وجاءتهم الريح بتراب ..."[1]

وقد ذكر بعض الكتاب والباحثون والمختصون، أن الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي لم يكن مؤلفا عاديا مثل غيره من المؤلفين، بل كان يتميز عن غيره بالكم وبالكيف وهو نفسه يؤكد أنه لا يجري مجرى المؤلفين الذين يكتبون عن فكر ورؤية، أما جميع ما يكتبه هو من الهام الله تعالى له، وقد وصفه "بروكلمان" أنه من أخصب المؤلفين عقلا و أوسعهم خيالا[2].

6. وفاته.

بعد حوالي ثماني وسبعين سنة هجرية من العمل والعبادة والسفر والترحال والتدريس والتأليف وفي ليلة الجمعة الثاني والعشرين من شهر ربيع الأخر سنة 638هـ/ 9 أكتوبر 1240م. توفي الشيخ محي الدين بنعربي وكانت وفاته في دار القاضي محي الدين بن الزكي، ودفن في جبل قاسيون بدمشق.[3] وقبره مشهور مقصود بالزيارة، وله تكية وجامع في جواره من بناء السلطان سليم وهو الذي الذي أظهره ولم يكن ظاهرا[4].

7. رحلاته إلى المشرق.

1.7. مصر.

تعتبر مصر المحطة الأولى عند مغادرة بلاد المغرب فقد خرج الشيخ ابن عربي من المغرب الأدنى باتجاه الشرق نحو مصر سنة 598هـ. وقد التقى بكبار علماءها والذين لهم علم بمقامات أسماء الله الحسنى من حيث دلالتها على الذات الإلهية، وهي التي حصلها الشيخ عند دخوله إلى الطريق[5] لم يدم استقرار الشيخ في مصر طويلا غير أنه جعلها مكانا للتكسب والراحة ثم منه إلى مكة المكرمة.

2.7. مكة.

وفي طريقه إلى مكة مر بعدة مدن تاريخية في المشرق على غرار مدينة خليل الفلسطينية، التي دفن فيها نبي الله لوط و إبراهيم الخليل عليهما السلام وقد ألّف فيها أهم كتبه "كتاب اليقين" والذي يعد من أهم مؤلفاته وتسميته بهذه التسمية نسبة إلى مسجد اليقين الموجود في ذلك المقام.

---

[1] ابن عربي، الفتوحات المكية، المصدر السابق، ص88.
[2] محمد علي حاج يوسف، المرجع السابق، ص14.
[3] حمد علي حاج يوسف، المرجع السابق، ص389.
[4] يوسف بن إسماعيل النبهاني، المرجع السابق، ص202.
[5] يوسف بن إسماعيل النبهاني، المرجع السابق، ص 237.

كما مر على بيت المقدس وزار المدينة وصلى في المسجد الأقصى، ثم توجه إلى المدينة المنورة لزيارة النبي عليه الصلاة والسلام، ثم توجهه إلى مكة لأداء مناسك الحج والتي بقي فيها سنتين، شرع في كتابة كتابه الشهير "الفتوحات المكية" والذي سوف يكمله في دمشق بعد 30 سنة، ويعد الكتاب من أهم كتب التصوف الإسلامي على الإطلاق، وقد بدأ في تأليف موسوعته الصوفية اثري حادث وقع بينه وبين "الفتى الفائت" وهو روح رآه الشيخ حول الكعبة أثناء طوافه، فأخذ منه كل ما سطره في الفتوحات ويقول في الأبيات :

قلت عند الطواف كيف أطوف وهو عن درك سرنا مكفوف
جلمد غير عاقل حركاتـــي قيل انت المحير المتلوف
انظر البيت نوره يتـــــلالا لقلوب تطهرت مكشوف
فنظرته بالله دون حجـــاب فبدا سره العلي المنيف[1].

كما تعلق قلبه "بنظام" بنت المحدث "أبا شجاع"، وكانت ذات حسن وجمال وأدب وفصاحة وعلم غزير والتي انشد فيها قائلا:

أحب بلاد الله لي بعد طيبة ومكة والأقصى ومدينة بغدان
ومالي لا أهوى السلام ولي بها إمام هدى ديني وعقدي وأماني
وقد بكتتها من بنيات فـــارس لطيفة إماء مريضة أجفان
تحيي فتحيي من أماتت بلحضها فجاءت بحسنى بعد حن وإحان[2]

وبعد هذه المدة توجه بن عربي إلى الطائف لزيارة قبر عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما، وألف في طريقه كتاب "حلية الإبدال وما يظهر عنها من معارف وأحوال"، والتي تناول فيها أربعة أركان وتعد عماد الطريق وهي: الجوع، والسهر، والصمت، والعزلة.

كما عرف فتحا علميا مبينا أثناء إقامته في مكة وهذا بفضل قدسية المكان وسمو تصوفه الذي وجد جوا ملائما في ذلك البلد الأمين وشرع في تأليف كتاب "مشكاة الأنوار فيما روي عن النبي صل الله عليه وسلم من الأخبار"،وقد جمع أربعين حديثا بأسانيدها المتصلة ،كما كتب في الطائف كتاب "حلية الإبدال" الذي كان بطلب من أصحابه في الطريق منهم عبد الله بن بدر الحبشي واليه اهدي كتاب الفتوحات فيما بعد وابن خالد الصدفي وكانت علاقاته مع الصوفية في مكة علاقات رسمية منذ اللحظة[3].

3.7. الموصل.

توجه الشيخ محيي الدين إلى الموصل، وعندها التقي بالعديد من الشيوخ منهم: "قضيب ألبان" و"أبو الحسن بن الكناري" كما لقي الشيخ "احمد بن مسعود بن شداد المقري الموصلي" ولبس خرقة الخضر من يد الشيخ "عبد الله بن جامع" والتي انشد قائلا:

لبس التقى للنفس خير لباس يزهو به المعود بين الناس
إن الشريف هو التقى المرتضى لا الهاشمي ولا بنو العباس

[1] ابن عربي، الفتوحات المكية، المصدر السابق،ج1، ص 79.
[2] محمد علي حاج يوسف، المرجع السابق، ص 254.
[3] آسين بلاثيوس، المرجع السابق، ص87.

إلا إذا اتقوا الإله فأنهم أهل المكارم والتقى وإلباس[1].

رغم إقامته القصيرة في الموصل وبغداد، فقد تجمع المريدون حوله، نجد من خلال السماعات المدونة على بعض المخطوطات، أن الشيخ محيي الدين قرأ في هذه الزيارة لبغداد كتاب "روح القدس" في مناصحة النفس على بعض التلاميذ منهم: عبد الوهاب بن علي المشهور بإبن سكينة ،بالإضافة إلى أصحاب بدر الحبشي ومحمود بن إسحاق بن يوسف الرومي، ومحمد بن محمود الملطي.[2]

4.7 حلب ودمشق: زار الشيخ المدينة وحظي بمكانة عالية كانت كلمته مسموعة عند سلطان حلب الملك الظاهر غازي بن الملك الناصر لدين الله صلاح الدين يوسف بن أيوب وكان يرفع إليه من حوائج الناس، وذات مجلس رفع إليه مئة وثمان عشرة حاجة قضاها كلها. كما كتب رسالة "روح القدس في مناصحة النفس" التي شنع فيها على العلماء وبين أن الفقهاء غالبا ما يصدرون الفتاوى خدمة للأمراء وأغراضهم[3].

8. شيوخه في المشرق.

عندما وصل الشيخ محيي الدين إلى مكة كان أول لقائه بالشيخ "أبا شجاع زاهر بن رستم بن أبي الرجاء الأصفهاني"، وهو إمام الإبراهيمي في الحرم المكي وكان يلقي دروسا في الأحاديث الشريف فأنضم بن عربي إلى الحلقة وسمع منه سنن الترمذي وغيرها من كتب الحديث[4]، وكانت "فخر النساء" أخت أبا شجاع عالمة لا تزال تهتم بعلم الحديث النبوي ورايته رغم سنها المتقدم، وكانت قد انقطعت على التعليم، فبعث إليها بن عربي لكنها رفضت فأنشد قائلا:

حالي وحالك في الرواية واحد ما القصد إلا العلم واستعماله[5].

فعندها أذنت لأخيها "أبا شجاع" أن يكتب للشيخ محيي الدين إجازة عامة في جميع روايتها.

وفي مكة التقى بالشيخ "يونس بن يحي ابن أبي الحسن العباسي الهاشمي" نزيل مكة سمع عليه كتبا كثيرة في الحديث منها "صحيح البخاري" الذي رواه عن أبي الوقت عن الداودي عن الحموي عن العزيزي عن البخاري[6].

ومن شيوخه "البرهان نصر بن أبي الفتوح بن علي الحضرمي" إمام الحنابلة بالحرم المكي سمع منه كتب كثيرة منها سنن أبي داود السجستاني.

كما التقى بمكة الشيخ "مجد الدين إسحاق بن يوسف الرومي" والذي سيكون له دور كبير في حياة بن عربي ورحلته في المشرق[7].

وفي بغداد التقى بعدة شيوخ ومنهم "عبد الله بن جامع" الذي ألبسه خرقة الخضر[1]، كما التقى بالشيخ "احمد بن مسعود بن شداد المقري الموصلي"(601هـ) والذي درس عليه بعض الحكم[2].

---

[1] محي الدين بن عربي، ذخائر الاعلاق في شرح ترجمان الأشواق، المطبعة الأندلسية، بيروت،دط ،1313هـ ،ص59.

[2] محمد علي حاج يوسف، المرجع السابق، ص357

[3] محمد علي حاج يوسف، المرجع السابق، ص317.

[4] محمد علي الحاج يوسف، المرجع السابق، ص252.

[5] محي الدين بن عربي، ذخائر الاعلاق في شرح ترجمان الأشواق، المصدر السابق،ص3.

[6] سعيد عبد الفتاح، رسائل بن عربي، المرجع السابق، ص 47.

[7] محمد علي الحاج يوسف، المرجع السابق ص 284.

كما التقى بالمؤرخ الشهير "ابن الدبيثي" والذي حدثه ببعض المبشرات التي رأى فيها النبي صلى الله عليه وسلم، كما التقى مع المؤرخ "بن النجار" وهو تلميذ الدبيثي[3].

كما التقى دنيسر[4] بشخص يقال له "عمر الفرقوي" وكان من الأقطاب الذين يراقبون خواطرهم فهم في حضور دائم[5].

والتقى في رحلته هذه بالشيخ "أبي القاسم الغافقي" الذي ذكره بن عديم في كتابه في "بغية الطلب في تاريخ حلب".

تعتبر دمشق المستقر الأخير لابن عربي الذي سيقضي به حياته ولما دخل إليها وجد في نفسه حبا لم يكن يدرك حقيقته وقد اشعر قائلا:

ولما دخلت الشام خولطت عقلي فلم أرى قبلي في الهوى عاشقا مثلي.

عشقت وما ادري الذي قد عشقته أخالقي المحبوب أم هو من شكلي

وقد استقر فيها مدة سبعة عشرة سنة حيث وجد الأمن والراحة والسعادة وقد قرب من الملوك الأيوبيين من عائلة بني زنكي[6]، الذين استضافوه وقدموا له الرعاية، وكان له بيتا يجتمع فيه مع المريدين ليقرأ عليهم كتبه، ويلقي عليهم الدروس، وفي دمشق اصدر أهم كتبه[7].

9. تلاميذه في المشرق.

واصل الشيخ في إلقاء دروسه على طلابه منهم، إسماعيل بن سودكين الذي رافق الشيخ في مصر وحلب وأخيرا استقر برفقته في دمشق وفيها ألّف كتاب "الوسائل" الذي قدم له فيه نصيحة ثمينة مفادها أن لا ينشغل إلا بالله[8]، كما لازمه أوحد الدين الكرماني، الذي التقاه في قونية واستقر معه في دمشق كما لازمه محمد بن إسحاق بن محمد بن يوسف الرومي المعروف بصدر الدين القوني[9]، الذي يعد من أهم تلاميذه، وقد قدم شرحا لكتبه ويعد جلال الدين الرومي من أهم تلاميذه[10].

---

[1] نفسه، ص 285.

[2] نفسه، ص 259.

[3] نفسه، ص 322.

[4] دنيسر هي بلدة كبيرة مشهورة من نواحي الجزيرة قرب ماردين بينهما فرسخان ولها اسم اخر يقال لها قوج حصار.

[5] محمد علي الحاج يوسف، المرجع السابق، ص 293.

[6] هي أسرة في الموصل أسست إمارة على يد عماد الدين زنكي، التي توسعت إلى بلاد الشام.

[7] محمد علي الحاج يوسف، المرجع السابق، ص 293.

[8] محمد علي حاج يوسف، المرجع السابق، ص ص 354- 355.

[9] صدر الدين محمد بن إسحاق القونوي الرومي ويعرف بالصدر الرومي ولد وتوفي بقونية بدولة تركيا حاليا يعد من ابرز تلاميذ بن عربي وله الفضل الكبير في التعريف بتراث ابن عربي في بلاد فارس وغيرها له كتاب فكوك النصوص يعتبر شرح لفصوص الحكم الابن عربي.

[5] ساعد خميسي، الرمزية والتأويل في فلسفة بن عربي، رسالة دكتوراه، تحت إشراف عبد الرحمان التليلي، جامعة منتوري قسنطينة، 2005-2006،ص 35.

[6] محمد علي حاج يوسف، المرجع السابق، ص357.

تزايد عدد مريدي الشيخ محي الدين في دمشق، وكان يواصل تأليف كتاب "الفتوحات المكية" وفي سنة 631هـ قرأ الشيخ ثمانية من كتبه منها: كتاب "اليقين" الذي قرأه عليه في منزله بدمشق أيوب بن بدر بن منصور المقري إضافة إلى كتاب "الميم والواو والنون"، كما قرأ عليه كتاب "المقصد الأسمى" بالمسجد الأموي زيادة على كتاب "مفاتيح الغيوب" وكتاب "الحق"[1].

كما تتلمذ على الشيخ في مدينة الخليل عدد من الطلبة وكان يقرأ عليهم كتبه خاصة كتاب روح القدس نذكر منهم علي بن عبد الله بن عبد الله الفاسي واحمد بن إبراهيم بن عبد الله المرسي وعلي بن عبد الرزاق بن علي البوشي وعبد الله بن محمد القيسي وهو الناسخ[2].

وفي القاهرة قدم الشيخ بعض الدروس قراها على المريدين منها مدونة لكتاب روح القدس وقراءة أخرى لكتاب أيام الشأن وكان القارئ هو إسماعيل بن سودكين النوري، وكان المستمعون عبد الله بدر الحبشي عبد المنعم بن محمد بن يوسف الأنصاري بن غانم القيس، محمد بن علي بن إبراهيم الأنصاري، عبد الرحمان بن عباد بن عبد الحق التبريزي، قطب الدين بن سودكين النوري، يحي الجبال[3].

لقد أجاز ابن عربي عددا كبيرا من طلابه أهمهم. إجازة القونوي بكتاب "فصوص الحكم" رغم كثرة أتباع الشيخ بن عربي بدمشق إلا انه لم يجز أكثرهم في كتابه هذا لما في كتبه من صعوبة، كما أجاز الملك المظفر بهاء الدين بن الملك العادل الأيوبي، وهي إجازة التي كتبها الشيخ للملك والتي ذكر فيه كثير من أشياخه بالإضافة إلى 290 مصنفا من مصنفاته[4].

9 مساهمته العلمية في المشرق أهم مؤلفاته.

شرع في كتابة كتاب "ترجمان الأشواق" والذي يعد أفضل ما قيل في شعر الغزل. كما كتب رسالة "روح القدس" الموجهة إلى شيخه في تونس عبد العزيز المهدوي، والتي تناول فيها المشايخ الذين درس على أيديهم والتقى بهم إضافتا إلى كتاب آخر مشابه إلى روح القدس وهو "الدرة الفاخرة فيمن انتفعت بهم في طريق الآخرة "[5].

كما شرع في كتابة مؤلفه "مشكاة الأنوار فيما يروى عن الله من أخبار" والذي جمع فيه بعض الأحاديث القدسية المروية عن جلال الله سبحانه وتعالى ويتضمن الكتاب ثلاثة أقسام.

أولا: يتكون من أربعين حديثا متصل إلى النبي محمد صل الله عليه وسلم.

ثانيا: يتكون من أربعين حديثا مرفوعا إلى النبي محمد صل الله عليه وسلم من غير ذكر الأسانيد.

ثالثا: يضم واحد وعشرين حديثا مرسلا منسوبة إلى الله تعالى من دون ذكر السند[6].

وفي الموصل ألّف الكثير من الكتب المهمة مثل: "التنزّلات الموصلية" وكتاب "الجلال والجمال" وكتاب "الكنه"[1].

---

[1] حمد علي حاج يوسف، المرجع السابق، ص357.

[2] نفسه، ص309.

[3] آسين بلاثيوس، المرجع السابق، ص93.

[4] محمد علي حاج يوسف، المرجع السابق، ص244.

[5] أبو العباس الغبريني، عنوان الدراية فمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح:عادل نويهض، دار الأفاق الجديدة، بيروت،ط2 ، 1979، ص 166. 166.

[6] محمد علي حاج يوسف، المرجع السابق، ص276.

كما توجه الشيخ إلى قونية[2]، والتي ألّف فيها "رسالة الأنوار" وكتاب "الأمر المحكم المربوط" وكتاب "العظمة"[3]. والتي اظهر فيها من الحس الشيء الكثير.[4] الإطلاق: وهما كتاب "فصوص الحكم" وكتاب "الفتوحات المكية".كما ألّف "الديوان الكبير" وهو ديوان شعر صوفي يتضمن المئات من القصائد بالإضافة إلى ذكر بعض المبشرات التي رآها الشيخ[5].

وأما فيما يخص كتابه الكبير صاحب الصيت الشهير "فصوص الحكم" وهو احد الكتب التي عملت على توطيد شهرة ابن عربي بوصفه كتابا صاحب رؤى بين الصوفية، وفيه يعرض أغرب نظرياته في وحدة الوجود على هيئة إلهامات، وقد وُضعت على هذا الكتاب شروح كثيرة وحواشي متعددة، ففي حياة بن عربي نفسه وضع تلميذه الصدر القونوي شرحا على "فصوص الحكم". واستمرت الشروح تتوالى حتى بداية القرن السابع عشر للميلاد يقوم بها مشاهير الصوفية بالمشرق ويبذلون كل أنواع المهارة في تفسير الأقوال الجزئية التي تضمنها هذا الكتاب تفسيرا يتلاءم مع المذهب السني لإثبات اتفاق مذهب بن عربي مع مذهب أهل السنة ضد أولئك الصوفية الكبار الآخرين مثل التفتازني ت سنة 791هـ/1389م والقارئ الهروي ت سنة 1014هـ/1605م اللذين وافقا ابن عربي في وحدة الوجود.[6]

ومن الشروح المشهورة نذكر ما قام به الشيخ عبد الرزاق بن أحمد القاشاني ت سنة 730هـ وكان هذا الشرح طلبا من الشيخ الكبير شمس الدين التبريزي الذي أمره أن يقدم شرحا لكتاب "فصوص الحكم" مستخرجا كنوزه وجواهره وأن يبرز ما فيه من المعضلات وكشف رموزه ومخفياته.

وقد قدم الإمام القاشاني في شرحه هذا ثلاث مقدمات تحتوي على أصول فصوص الحكم وهي كالتالي:

الأولى في تحقيق حقيقة الذات الأحادية.

الثانية في بيان حقائق الأسماء ولا تناهيها.

الثالثة في بيان الشأن الإلهي[7].

ويكتسي هذا الشرح أهمية خاصة لان مؤلفه من المختصين بشرح دقائق وأسرار وحقائق مصطلحات علم التصوف الإسلامي فهو مؤلف كتاب "لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام" وكتاب "اصطلاحات صوفية "وغيرها من الكتب التي تدل على تبحره في علم الطريقة والحقيقة ذوقا وحالا.[8]

---

[1]هي مدينة تركية تقع في وسط جنوب الأناضول كانت عاصمة دولة السلاجقة قبل الغزو المغولي جازها الشيخ محي الدين بن عربي أثناء رحلته يوجد بها قبر جلال الدين الرومي.

[2]محمد علي حاج يوسف، المرجع السابق، ص297.

[3]عبد الوهاب الشعراني، الطبقات الكبرى، وطبعة محمد علي صبيح، مصر،ص 270.

[4]يوسف بن إسماعيل النبهاني، جامع كرامات الأولياء، تح: إبراهيم عطوة عوض، مركز الهلنسة بركات رضا فور بندر غجرات، الهند،ط1، 2001، ص ص 207-208.

[5] نفسه، ص208.

[6]آسين بلاثيوس، المرجع السابق، ص116.

[7]عبد الرزاق بن احمد القاشاني ،شرح القاشاني على فصوص الحكم تح عاصم ابراهيم الكياتي، دار الكتب العلمية،لبنان، ص14.

[8]نفسه،ص 455.

10.خاتمة:

تعد الرحلة العلمية مظهرا من مظاهر التاريخ الإسلامي، فهي الرابط بين أقطاره وأمصاره و لاسيما بين غربه وشرقه، فقد كانت هذه الرحلات جماعات وفرادى وكان العلماء والزهاد أكثرهم ترحالا خاصة إلى البلد الحرام، فكانوا يؤدون فريضة الحج و يحضرون المجالس العلمية للتعلم والتفقه، بل وكانوا يجازون في بعض العلوم أو يجيزون، ومن هؤلاء المغاربة محيي الدين بن عربي الذي حل بعدة حواضر في بلاد المشرق، وقد جاز وأجيز في عدة علوم والذي يعد مدرسة لوحده في التصوف والزهد، وتعد مؤلفاته التي لا تكاد تحصى ألفها في المشرق شاهدة على علمه وهمته العالية. كما كشف على المكانة العلمية التي يتبوؤها المغاربة خاصة بلاد الأندلس التي أنجبت علماء فطاحل في مختلف العلوم والتي درسوها في المشرق فامتزجت العلوم المغربية بالمشرقية لتحقق وحدة علمية تاريخية ظهرت في تراثنا الإسلامي الذي خطته الكتب والمخطوطات.

المصادر

1 محي الدين محمد بن علي بن محمد بن عربي الحاتمي، الفتوحات المكية، فهرسه احمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دس،ج1.

2 محي الدين محمد بن علي بن محمد بن عربي الحاتمي، رسائل بن عربي، تح سعيد عبد الفتاح، ، الانتشار العربي، بيروت،ط1، 2001، ج1.

3 محي الدين بن عربي، ذخائر الاعلاق في شرح ترجمان الأشواق، دط، المطبعة الأندلسية، بيروت،1313هـ . 4 أبو العباس الغبريني، عنوان الدراية فمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: عادل نويهض، ط2، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1979.

5 عبد الوهاب الشعراني، الطبقات الكبرى، وطبعة محمد علي صبيح، مصر.

عبد الرزاق بن احمد القاشاني ،شرح القاشاني على فصوص الحكم تح عاصم ابراهيم الكياتي،ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2007.

عبد الله شهاب بن عبد الله ياقوت الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، تح فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990.

المراجع

1 محمد علي حاج يوسف، شمس المغرب سيرة الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي ومذهبه،ط1، للدراسات والترجمة والنشر، حلب، سورية، 2006.

2 محمد احمد درنيقة، معجم المؤلفين الصوفيون، مؤسسة الحديث للكتاب، طرابلس، لبنان،2006.

آسين بلاثيوس، ابن عربي حياته ومذهبه، تر: عبد الرحمان بدوي، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة،دط، دس.

3 عثمان يحي، مؤلفات بن عربي تاريخها وتصنيفها، تر:احمد محمد الطيب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر،دط ،2001.

4 يوسف بن إسماعيل النبهاني، جامع كرامات الأولياء، تح: إبراهيم عطوة عوض، ط1، مركز الهلنسة بركات رضا فور بندر غجرات، الهند، 2001.

5 عبد الباقي السيد عبد الهادي، تاريخ اهل الظاهر،ط1، دار الافاق العربية، القاهرة، 2014.

الرسائل الجامعية

1 ساعد خميسي، الرمزية والتأويل في فلسفة بن عربي، رسالة دكتوراه، تحت إشراف عبد الرحمان التليلي، جامعة منتوري قسنطينة، 2005-2006.